الإسهامات العلمية والدعوية للأمير عبد القادر وأثرها في بناء الدولة الحديثة.

The scientific and advocacy contributions of Prince Abdul Qader and their impact on the construction of the modern state.

باي بن زيد.

جامعة تلمسان (الجزائر)، Benzid.bey@univ-tlemcen.dz

تاريخ الإرسال: 2022-12-31 **تاريخ القبول:** 2023-06-15 **تاريخ النشر:** 2023-06-16

ملخص: يشكل موضوع هذه الدراسة محاولة بحثية نتناول شخصية علمية ودعوية وثورية تاريخية استطاعت أن تؤسس نظاما حديثا تثبّت به مفاصل الدولة الجزائرية من جهة، وتقارع به قوى الاستدمار الفرنسي من جهة أخرى.

إنها شخصية الأمير عبد القادر التي استطاعت في ظرف وجيز أن تجمع – بعد فضل الله — ما فرقته يد الشيطان فرنسا من أبناء هذا البلد المفدى بالجهاد العلمي والدعوي استنانا بالرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولتجلية المقصود بالبحث، تناولت هذه الدراسةُ معالم هذا الجهاد العلمي والدعوي، وأهم مرتكزاته الرئيسة، وأثر ذلك في بناء إنسان المقاومة الجزائرية وتأسيس الدولة الحديثة على سنة السلف الصالح.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر— الإسهامات العلمية — الإسهامات الدعوية — الدولة الحديثة .

Abstract :

The subject of this study constitutes a research attempt to discuss a scientific, advocacy and historical revolutionary figure who was able to establish a modern system by which the joints of the Algerian state would be fixed on the one hand, and to fight the forces of French colonialism on the other hand.

It is the personality of Prince Abd al-Qadir, who was able in a short time to collect - after the grace of God - what the hand of Satan dispersed France from the people of this country, which was sacrificed by scientific and advocacy jihad, waiting for the mercy bestowed and the grace bestowed on our master Muhammad, may God bless him and grant him peace, and to clarify the intent of the research, this study dealt with the features This scientific and advocacy jihad,

and its most important pillars, and its impact on building the Algerian resistance and the establishment of the modern state on the Sunnah of the righteous predecessors.

Keywords: Prince Abdul Qadir - Scientific Contributions - Advocacy Contributions - The Modern State.

المؤلف المرسل: باي بن زيد، **الإيميل**: Benzid.bey@univ-tlemcen.dz

1– مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، وجعل اللسان العربي ترجمان القرآن؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الدَّيان، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكرم الخلق على الله، وأفضل من نطق بالضاد من ولد عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان.

أما بعد : فإن الله تبارك وتعالى قيض لهذه الأمة عبر تعاقب أزمانها، وتلاحق عصورها رجالا عظماء وعلماءَ أجلاء انتصبوا لنصرة الحق، وكانوا لذلك أوفياء، فأعادوا رفع رايات سؤددها وعزِّها كلما ضعفت وتسلط عليها الأعداء، وأناروا دروب مجدها كلما كلَّت سواعد أفرادها عن االسعي والعطاء، أو زلت أقدام البعض عن الثبات والبقاء؛ وملؤوا القلوب علما وفقها يدفعان للنجاة من أوهاقِ الرذيلة وجاهلية الأفكار، وسم التشرذم والتفرق وتتبع سبل الهلاك والإندثار.

والحق الذي لا مرية فيه أن تاريخ الجزائر حافل بأمثال هؤلاء الصالحين الأطهار؛ ولعل أوفاهم حظا في التاريخ تغييرا وتجديدا، وإصلاحا وكفاحا الأمير عبد القادر الجزائري، القائد الملهم، والسياسي المحنك، والإمام المصلح رحمة الله تعالى الذي آمن من أول نضاله ضد الشيطان فرنسا أن الحفاظ على تقاليد هذه الأمة وهويتها وانتمائها التاريخي، واستنهاضها من جديد، وانتزاع حقوقها المفترسة لا يكون إلا بإعادة بناء آحاد أفرادها وفق هدي القرآن، وسنة المصطفى العدنان، وما كان عليه سلف الأمة الأخيار عبر العصور والأزمان.

وهذا البحث محاولة للوقوف على جهاده العلمي والدعوي، وأثر ذلك في بناء الدولة الجزائرية الحديثة.

إشكالية البحث :

لا ريب أن تأسيس الأمير عبد القادر الجزائري للدولة الحديثة إنما قام على مرتكزات علمية وجهود دعوية جبارة التمست خطى السلف الصالح لتحقيق المراد، فما هي أهم هذه الجهود المباركة ؟ وما أثرها في بناء إنسان المقاومة الجزائرية وتأسيس الدولة الحديثة.

المنهج المتبع في البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن أتبع المنهج الوصفي التحليلي في بيان الإسهامات والجهود العلمية والدعوية للأمير وأثرها في بناء الدولة، وكذا المنهج التاريخي في بيان ترجمة هذا العلم وسرد مسيرته النضالية في حياته.

خطة البحث:

اقتضت المادة العلمية أن أوزعها على مدخل ومبحثين وخاتمة.

مدخل: ترجمة الأمير عبد القادر الجزائري.

المبحث الأول:الإسهامات العلمية للأمير وأثرها في تكوين الوعي الجزائري والدفاع عن حوزة الإسلام.

المبحث الثاني: الإسهامات الدعوية وأثرها في بناء إنسان المقاومة الشعبية وتأسيس الدولة الحديثة.

خاتمة: تحوي أهم النتائج.

2. ترجمة الأمير عبد القادر.

1.2 نسبه.

باي بن زيد.

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن مختار بن عبد القادر بن أحمد المختار بن عبد القادر بن أحمد المشهور بابن خدة – وهي مرضعته – بن محمد بن عبد القوي بن علي احمد بن عبد القوي بن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن عبد القوي بن احمد بن محمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله المحصل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وأمه فاطمة الزهراء بنت سيد الوجود محمد صلى الله عليه وسلم. (الرفاعي، 1892،ص166).

2.2 مولده ونشأته.

ولد يوم **23**رجب **1222**هـ / الموافق ليوم **25**سبتمبر **1807**م بقرية القيطنة والتي تبعد حوالي **20**كلم من مدينة معسكر (شيخي، 2017،ص22). نشأ وترعرع بهذه القرية حيث تلقى علومه الشرعية الأولية على يد والده وشيخه كعلوم التفسير، والحديث النبوي، والفقه والشريعة والأصول والنحو وأتقنها، وفي عام **1821**قررت حكومة (الإيالة) بوهران وضع الشيخ محي الدين في إقامة جبرية بمدينة وهران بسبب و شايات متعددة تزعم أنه يسعى للقيام بحركة عصيان، فيأخذ معه ابنه عبد القادر إلى هناك ليواصل رعايته وتربيته تربية إسلامية متينة فوسع ثقافته وواصل الدراسة على علمائها ومنهم الشيخ مصطفى بن الهاشمي والشيخ محمد بن قريد، الذين درس عليهما علوم المنطق والبلاغة والبيان، كما واصل دراسة بقية العلوم الأخرى على والده وتوسع فيها كثيرا وعمقها (بوعزيز، 1983،ص40-41).

ومن منن الله تعالى على الرجل توسيع معارفه ومداركه بعد رحلة أبيه للحج التي كانت وسيلة لإتمام التربية الفكرية بالاحتكاك بالمراكز الفكرية في المشرق، حيث درس الفلسفة اليونانية كتلك التي عرفت قبل سقراط ثم أفلاطون ولاسيما أرسطو، والتاريخ الجغرافيا والطب...ولقد أصبح الأمير عبد القادر رجل ثقافة امتزجت فيها مداركه الشرعية ومعارفه التجريبية والكونية (شيخي، 2017 ،ص14-15). وفي رحلة ثانية ميمونة للحج كانت له الفرصة للاطلاع على أنظمة البلدان العربية، وسير حياتها في الحكم والإدارة،

ومختلف الميادين السياسية والاجتماعية، وغيرها...فرجع مملوء الوطاب، موفور الزاد، بما يصلح أن يسوس به دولة المغرب الأوسط (الجزائر) (بوعزيز، 1983،ص42).

3.2 وفاته.

في بداية شهر ماي 1883، وكان معتكفا بداره يتهجد ويبتل لربه، واشتد عليه مرض المثانة، فزاده الضعف والمرض، وفي ليلة السبت 26 ماي 1883م؛ جان أجله وقبضت روحه، وغسله الشيخ عبد الرحمان عليش الأزهري، وصُلِّي عليه بالمسجد الأموي في جمع لا نظير له، وشيع إلى مثواه الأخير رحمه الله تعالى رحمة واسعة(الصلابي،ص363).

3. الإسهامات العلمية للأمير وأثرها في تكوين الوعي الجزائري والدفاع عن حوزة الإسلام.

لقد كانت للعناية الأبوية الأولى للأمير عبد القادر، وكذا زياراته لبلاد العرب الشرقية والغربية أثناء أدائه لفريضة الحج بصمة واضحة في تكوينه الشرعي والأدبي والعسكري والإداري...، وبوابة انطلاق لتلك الشخصية العلمية القيادية التي أثرت بشكل جلي في إصلاح واقع استدماري فرنسي مرير فُرِضَ على أبناء الشعب الجزائري، وفي هذا المبحث سأتناول أهم الإسهامات العلمية للأمير مع بيان الأثر الذي تركته في أوساط المجتمع.

1.3 الإنتاج العلمي للأمير وأثره في تكوين الوعي الجزائري والرد على الخونة والمتعاونين مع الاحتلال:

لقد سطع نجم الأمير في التأليف والكتابة التي ترمي إلى إصلاح الواقع في بدايات شبابه الأولى، وتنوعت ميادين التأليف ومقاصده حسب الحاجة الزمانية والمكانية وأهم ما خلفه من ذلك مما بنشر الوعي بين أبناء الأمة الجزائرية، ويرد على المتخاذلين والمتعاونين مع الاحتلال الفرنسي ما يأتي:

1.1.3 رسالة بعنوان: حسام الدين لقطع شبه المرتدين، كتبها في بداية عهده بالإمارة أي عام 1833م وذلك بالرد القاطع من القرآن والسنة النبوية على بعض أشباه الشيوخ الذين استمالهم

واستأجرهم الاحتلال ليروجوا بين الناس جواز النزول تحت حكم الفرنسيين وعدم جواز الانضمام إلى دولة الأمير المجاهدة (ينظر:علي،ص283). وقد كتبها أيام جهاده ضد المستدمر الفرنسي الغاشم، في قضية من أهم قضايا فقه الجهاد، وهي قضية الهجرة من البلاد التي يستولي عليها الكفار أو الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام، وهذه الرسالة تعتبر وثيقة علمية نادرة في بابها تبين مكانة الأمير العلمية، كما أنها وثيقة تاريخية مهمة تنقل لنا حقائق خطيرة عن أسباب تغلب الفرنسيين وانتصارهم على الجيوش الجزائرية في تلك الحقبة، رغم بعد القواعد الخلفية للعدو واتساع مساحة الجزائر (حاج عيسى، 1432) ؛ فالأمير عبد القادر رحمه الله من خلال الرسالة كان يرى بهجرة المستضعفين إلى سلطته وسلطة المؤمنين لحمايتهم إذا تمكن العدو من أرضهم، بخلاف ما رُوِّج له أن الأمير بفتواه هذه إنما يزيد من تمكن العدو من الأرض إذا أفرغها أهلها بالهجرة، ومن جهة ثانية كانت الرسالة حساما بتارا في وجه المتخاذلين والمتعاونين مع العدو الفرنسي.

2.1.3 الجهاد الفقهي والسياسي الذي تحويه الرسالة:

1: الحكم بالثبور والوبار في حق الراكنين – من أبناء الوطن ممن ليسوا مستضغفين في الأرض – إلى أهل الكفر: ويتجلى ذلك في قوله:" إذ الراكن إلى الكفار، الداخل تحت ذمة أهل البوار، واحدٌ من رجلين: إما رجل كذَّب الله في ضمانه لرزقه –نعوذ بالله من كفره وحمقه– وقال: إنْ هاجرتُ متُّ جوعًا، فازداد بذلك هلوعًا، واعتقد أن وطنه هو رازقه، لا موجده وخالقه؛ وإما رجل متكالب على الدنيا، أعماه وأصمَّه حبها، يريد الظفر بها، سواء كانت مع الكفر أو مع الإسلام. وكلا هذين لا يرجى صلاحهما ولا يؤمل نجاحهما: (**ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**). (**إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء**). (**فإن الله لا يهدي من يضل**)" (حاج عيسى، 1432).

2: الرد على مدعي العلم والفتوى ممن عارض فتاوى الأمير الخاصة بالهجرة من الأرض التي غلب عليها المستدمر، ويتمثل ذلك في قوله:"... **والآخر** رجل قرأ بعض أبواب الفقه، فعلم بعض أحكام الصلاة

والنكاح والبيوع، فظن أنه وصل إلى غاية يستحق أن يسمى بها عالماً. وصار يقول في دين الله ما ليس له به علم. ويفتري على الله الكذب.(ومن أظلم ممن افترى على كذبًا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون)، ويستدل بآيات وأحاديث وكلام الأئمة، وهو مع ذلك لا يحسن النطق والتلفظ بمبانيها، فكيف بالغوص على معانيها؟ فالحمار أحسن حالاً من هذا؛ إذ جهل الحمار بسيط وجهله مركب "(حاج عيسى، 1432).

وليس يخفى ما في هذه الرسالة الفقهية والسياسية من الأثر البالغ في توعية المسلم الجزائري بضرورة الوحدة الوطنية، والالتحاق بركب الدولة الجزائرية الجديدة المقاومة للاستدمار من جهة وتعرية المتخاذلين والمتعالمين المتعاونين مع المحتل ودحض حججهم الواهية الداعية إلى الرضى والتسليم بقدر الاستعمار، وشق عصا الأمة بمحاولة إجهاض مشروع وحدتها.

3.1.3 كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل .

هذا الكتاب يوضح فيه الأمير أن مقياس التفاضل بين الناس يكمن أساساً في العقل والعلم، وهما الوسيلتان الوحيدتان لإدراك الحق، ولابد من نبذ التقليد وإطلاق حرية الفكر والعقل للتطور والتأمل للاعتبار لمعرفة الحق بالدليل (ينظر:الصلابي،ص288).

يقول الدكتور عبد الحميد حاجيات عن كتاب ذكرى العاقل وتنبيه الغافل "ينبئنا عن سعة ثقافة الأمير، ومواقفه من الحضارة الغربية المعاصرة له، ومدى تأثره بما امتازت به هذه الأخيرة من اختراعات وازدهار صناعي وعلمي. والذي يمكن استخلاصه هو أن الأمير لم يحد عن أصالة الثقافة العربية الإسلامية، وانما حاول الخروج من التقوقع والتزمت، والتفتح على ما طرأ من تقدم على الحضارة الإنسانية، بغية الالتحاق بركب الدول المتقدمة" (حاجيات، 1983،ص93).

4.1.3 الجهاد الفكري الذي يحويه الكتاب وأثره في استنهاض الأمة الجزائرية.

إن جهاد الدفع يكون بالتوأمة بين جهاد القلم وجهاد السيف، والمتأمل بحق إلى الكتاب يجده يعطي الأمة مفاتيح الفلاح والنجاح لاستنهاضها من جديد، ولا يكون ذلك إلا بإدراك العلم وإعمال العقل المتحرر من التقليد المنبوذ؛ ولذلك نجد فيه دعوة صريحة للاستفادة من العلوم التجريبية التي تأخرنا فيها عن غيرنا، وهي التي تدخل في عموم الدعوة القرآنية:(**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**) .(الأنفال، الآية:60). بالموازاة مع ذلك يدعو الأمير إلى التمسك بلغة القرآن والاعتزاز بها لأنها إحدى مقوماته الوطنية، ولا ينبغي بأي حال التنازل عن ذلك مقابل لغة العدو فرنسا.

وخلاصة القول فإن الأمير عبد القادر من خلال كتابه ذكرى العاقل وتنبيه الغافل أظهر للعالم بأن الجزائر لها تاريخ تعتز به، وحضارة إسلامية تنتمي إليها، فقد اعتنت بالعلوم عبر تاريخها التليد، كما أن كلام الأمير عبد القادر عن الكتابة العربية شارحا بعض ما يتعلق بها فيه، اعتزاز بها ورفض قاطع لمحوها من طرف الاستعمار الفرنسي الاستيطاني الذي عمل منذ دخوله إلى الجزائر على محو مقومات الشخصية الجزائرية من عروبة واسلام من خلال هدم المساجد والمدارس وتهجير للعلماء (ينظر:شيخي، 2017، ص372).

2.3 الإنتاج العلمي للأمير وأثره في الرد على شبهات الاستدمار الفرنسي حول الإسلام.

تعددت اهتمامات الأمير العلمية بين ما يتعلق بهموم أمته والرد على الشبهات المثارة حول الإسلام من عدوه ولعل أهم ما أنتجه حول الثانية :

1.2.3 كتاب المقراض الحاد لقطع لسان منتقص الإسلام بالباطل والإلحاد:

ألفه الأمير عبد القادر عندما كان سجيناً في قلعة أمبواز بفرنسا في أواخر عام 1852م والسبب في ذلك أنه بلغ الأمير أن بعض الحكام والضباط و الأمراء الأوروبيين انتقص من دين الإسلام واعتبر أن الخديعة والغدر من سمات الإسلام نفسه، فوضع الأمير ذلك الكتاب من حفظه دون مراجع مكتوبة للرد عليهم بالدليل الكافي والوافي من القرآن والسنة الصحيحة وّ بين لهم خطأ اعتقادهم ووضح في الكتاب مسائل وأحكام مهمة وظهرت فيه روح الدعوة وحرصه على هداية الناس(الصلابي، ص284).

2.2.3 أهم القضايا التي تناولها الكتاب.

✓ توضيح الأمير محورية المرأة في حضارة المجتمع بين حقوقها وواجباتها.

من جملة القضايا التي تناولها الكتاب مما أثاره ضباط الخزي والعار لفرنسا مسألة المرأة وما يتعلق بمركزيتها في رقي الحضارات وما ينبغي لها من حقوق، وسأتناول بعضا مما أثير حولها من اتهامات للمسلمين والإسلام من امتهان المرأة، وكيف كان رد الأمير..

لقد اتهم الجنرال دوماس العرب باحتقار النّساء، فرّد عليه الأمير بأشعار العرب التي تبين مكانة المرأة عندهم وتكريمهم لها، وقال الشعر لا يتأتّى لغلاظ الطباع وأجلافهم ، وإنما حيثُ وجد الشعرُ و جدت الرقة وأجمل معاني الإنسانية، ويحتجُّ الأمير بقوله في امرأته شعرا؛ ويقرر الأمير أن المرأة في المجتمع الإسلاميُ تعتبر حجر الزاوية، ويستدلُّ بأسرته، ويبّين مكانة المرأة فيها، حيث كانت أمُّه هي المدير الفعلي لشؤون أسرتها، وعلى الرجل أن لا يكلفها العمل الشّاقَّ، وهذا من الدِّين والمروءة ولو كان فقيرا (ينظر: بنيرد، 2020، ص250-251).

ومما أثاره الطاعنون في الإسلام كذلك حول قضية المرأة التفاوت في حق الميراث؛ فرد الأمير بالطبع العام والذوق المشترك في الإنسانية بأن مبدأ تفاوت الميراث بينن الرجل والمرأة ينسجم مع فضل الرجال على النساء المهيَّئين خلقة للاضطلاع بعظائم الأمور كالسلطنة، وتولية الأعمال والمناصب الدنيوية، والرجلُ يحارب وُيدافع عن بلاده وعشيرته ... ويتعّين الإنفاق عليه بخلافها (ينظر:بنيرد، 2020، ص251).

إن اتهام الآخر للإسلام والمسلمين باحتقار المرأة، وهضم حقوقها ليس وليد اليوم فقط، بل هو قديم متجدد؛ وهو من أكبر المداخل التي خُدِع منها بعض المنبهرين بحضارة الغرب من أبناء جلدة الأمة الواحدة؛ رغم أن الواقع المعاش يشهد أن المرأة الغربية ليست إلا سلعة تباع وتشترى في سوق الإشهارات

والمغريات، واستقالت من منصب الأمومة الذي كرمها الله تعالى به جريا وراء الملذات والشهوات لتجد نفسها في آخر حياتها مرمية في دور للعجزة محتاجة لأبسط ابتسامة وأحنّ لمسة؛ بالمقابل تجد المرأة في الإسلام درة مصونة تحفظ بنتا صغيرة وزوجة رفيقة وأما كريمة.

✓ **رد الأمير على اتهامات العدو للمسلمين بتحكيم السيف لنشر الإسلام.**

إن من ذكاء الأمير في الإجابة عن هذه المسألة أنه سد ثغرين يمكن للشيطان الماري والمجادل أن يتسلل منهما أو من أحدهما؛ فأما في أحدهما فتبرئة للإسلام والمسلمين من هذا الاتهام الخطير، وأما في الآخر فغلق لباب شرب كبير قد بتذرع به المستعمر لاحتلال الجزائر لأنه نفس صنيع المسلمين.

تقول شيخي خديجة:" فنجد أن الأمير وضع عنوانا هو "الجهاد في الإسلام ليس هدفه السيطرة والقتل"؛ ومن هذا العنوان نجد أن الأمير يخاطب الفرنسيين المستعمرين مبينا لهم ما هو الجهاد في الإسلام؟ وكأن لسان حاله يقول بأنكم أيها المستعمرون المحتلون لبلادنا بالقوة والسيطرة والقتل، نحن أي(الشعب الجزائري) لسنا مثلكم فقتالنا هو دفاع عن النفس في وجه من قاتلنا (شيخي، 2017، ص342).

وقد أبدع الأمير عبد القادر رحمه الله في ذكر أدلة جواز الجهاد قائلا: "ومنها أنه لو كان القتال لغير دفع الضرر وكان لأجل المخالفة في الدين كانت الجزية لا تقبل من الحربي مع بقائه على دينه، واذا قبل شروطها يحرم قتاله ولا تجوز أذيته ومنها أنه لو كان القتال لأجل الدخول في الدين لكانت المرأة تقتل مع أنها لا تقتل وتترك على دينها، وقانون الحرب في الإسلام يحرم قتل المرأة والطفل والرجل العجوز ويحرم حرق الأشجار المثمرة وتعذيب الأسير والتمثيل بجثة القتيل، لأن الأصل عدم إتلاف النفوس" (ينظر: عبد القادرالجزائري، ص136-137).

ومما سبق يتبين بأن الأمير عبد القادر قاوم بقلمه كما قاوم من قبل بسيفه، فها هو يعرّي ويفضح أفعال المستعمر الفرنسي الذي يحاول بالقوة إخضاع الشعب الجزائري له بجعل أبنائه عبيدا للفرنسيين، كما حاول محو ثقافته العربية الإسلامية، إلا أن الأمير عبد القادر كان له بالمرصاد فها هو يعتز بثقافته العربية الإسلامية التي تفي بالعهد وتستقبح السيطرة على الشعوب (شيخي،2017، ص357).

الإسهامات العلمية والدعوية للأمير عبد القادر وأثرها في بناء الدولة الحديثة.

يقول الأمير في كتابه في موضع يوضح فيه الفرق بين مقصد الفتوحات الإسلامية وغاية الاستدمار الغربي:" والفتوحات الإسلامية كان هدفها نشر هذه الشريعة المباركة بالموعظة الحسنة والعدل والمساواة من دون إك اره في الدين، قال الله تعالى: ﴿ **وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ**﴾.(الأنفال، الآية:60)" (عبد القادرالجزائري، ص136).

فهنا يوضح أن الفتوحات الإسلامية هي طريق سويٌّ لإصلاح البشرية، والأخذ بيدها للترقي في مقامات الحضارة دنيويا ودرجات الجنة أخرويا، فمن اهتدى لنفسه ومن أبى الإسلام فلا إكراه عليه إلا أن يعتدي أو يقف في وجه رسالة التوحيد لمنع نشرها.

4: الإسهامات الدعوية وأثرها في بناء إنسان المقاومة الشعبية وتأسيس الدولة الحديثة.

إن من أعظم مقاصد الأمير عبد القادر في رحلته العلمية والجهادية المباركة هو أن يلُمَّ شمل الجزائريين تحت راية المثل العليا للإسلام بعد أن كانوا قبائل شتى تسود في كثير منهم نعرات الجاهلية التي أذكى نارَها الشيطان اللدود فرنسا؛ وقد آمن من أول نضاله أن ذلك لا يتأتي إلا ببناء قويم وسليم إسلامي للمواطن الجزائري الذي يكون لبنة صالحة لقيام الدولة الحديثة المنشودة؛ وقد تعددت مظاهر جهاده الدعوي لتحقيق ذلك بين إنشاء المدارس والمساجد ودور التعليم وحلقات العلم والتوعية والتذكير والخطب وغيرها كثير من صنوف جهاده الدعوي، وفيما يأتي أهم معالم ذلك.

1.4: اهتمام الأمير بالمدارس القرآنية والزوايا العلمية وأثر ذلك في بناء الفرد الجزائري وإعداده.

1.1.4 أهم مظاهر اهتمام الأمير بالمدارس القرآنية والزوايا العلمية.

التنظيم الإداري والعلمي للبرامج التعليمية وتخصيص مكافآت مالية للمعلمين والمتعلمين:

أقبل الأمير عبد القادر أثناء تنظيم إدارته بتوجيه عناية خاصة لتنظيم التعليم وتشجيع الطلبة على تحصيل العلم بتعميمه على مختلف القبائل من خلال فتح الدارس لتعليم الأطفال وتعليم العبادات والصلوات وحفظ تعاليم القرآن وتعليم الحساب، وكان يكافئهم على ذلك حسب الاجتهاد بمنحهم امتيازات خاصة منها: (ينظر: حساني، 2009، ص21).

- تخصيص رواتب مالية للطلبة حسب درجة التفوق والتحصيل والتميز.
- إكرام النجباء والمتفوقين والإعراض عن المتهاونين والمتكاسلين .
- إعفاؤهم من الخدمات للتفرغ للعلم، وإصدار الأوامر بحفظ مراتبهم ومقاماتهم.

ولم يقتصر الإمام في دعوته للعلم على ما تعلق بالشرعيات بل كان يرى أنه من الضروري العناية كذلك بعلوم الصناعة التي تفوق فيها العدو.

وقد عرفت إمارة الأمير عبد القادر بثلاث مراحل تعليمية وهي : الابتدائي والثانوي والعالي، وقد خص عبد القادر كافة المعلمين برواتب ثابته نقدا أو عينا، ومنح الطلاب المتفوقين مبلغا ماليا لمتابعة التحصيل في صفوف العالية، وعمل جاهدا لتأسيس المكتبات وجمع المخطوطات (ينظر:حرب، 1983، ص71).

لقد كان بحق رجل السيف والقلم معا، والمجاهد الذي انحنى له لواء الجهاد والعلم في وقت واحد، ففي الوقت الذي كان يجاهد فيه العدو الغربي والمحتل الفرنسي كان يقدم برنامج الإسلامي الإصلاحي في مجال التربية والتعليم وينشر الفكر والثقافة بين أهل البلاد (ينظر:بركات، ص20).

جمع المخطوطات العلمية وإقامة المكتبات.

من النشاط الدعوي الذي قام به الأمير عبد القادر والذي بذل فيه قصارى جهده هو جمع الكتب والمحافظة على المخطوطات من الضياع؛ حيث كان يرصد مكافآت كبيرة لمن يأت له بمخطوط جديد أو يحافظ عليه، وبالمقابل يعاقب كل من ثبت في حقه إتلاف مخطوط أو إفساده، وتشير الدراسات أن عدد

كتبه بلغ 5000 مخطوطة مجلدة تجليدا فاخرا أضافها إلى ما أحضره بنفسه من كتب أثناء رحلاته إلى الشرق (ينظر: ساعد، 2003-2004، ص318).

إرسال البعثات العلمية للتعرف على علوم الآخر.

إيمانا منه بثمرة النجاح التي هي أهم أداة لتحرير الإنسان والإنسانية، لم يتردد الأمير في إرسال بعض طلبة العلم للتعرف على الآخر، تكملة لهم في زيادة نهل العلم الديني، ومواكبة لتطورات العصر (ينظر:ساعد، 2003-2004، ص318) لأن المجال التربوي والعلمي ركيزة رئيسة لقيام أي دولة وبقاؤها مرهون بمكانته ومنزلته بين اهتماماتها.

2.1.4 أهم أهداف الأمير عبد القادر من تنشيط الحركة العلمية.

- التكوين العلمي الشرعي الذي يبصر المسلم الجزائري برسالته الوجودية بعد معرفته الحقيقية لشخصيته الذاتية.
- إيجاد لبنات صالحة مؤهلة لبناء المجتمع الصالح القادر على بناء الدولة الجزائرية الحديثة.
- محاولة القضاء على الجهل عند اكبر شريحة من الجزائريين فما أوتينا إلا من قبل التخلف والجهل.
- محاكاة الآخر في علوم الصناعة، وإعداد العدة لمقارعة العدو.
- محاربة البدع والخرافات التي كان يغذِّيها الاستعمار لاستحكام قبضته على العقول والأبدان.

2.4: الخطب والمجالس والأقضية الدعوية للأمير وأثرها في الإصلاح الفردي والجماعي.

كان الأمير عبد القادر غالبا ما يوضح في خطبه الأهداف والمقاصد التي من أجلها يكافح وينافح، وهي أهداف تتراوح بين تكوين الداخل وبنائه ورص صفوفه، ومحاربة العدو وأذنابه ويمكن بيان أهمها كالآتي:

الإصلاح بين القبائل: لقد حارب الأمير عبد القادر الجزائري بقواه المادية والروحية ظاهرتين كبيرتين هما: التعصب القبلي والتماس الحماية الاستعمارية الأمر الذي كان يعتبر خيانة كبيرة خاصة في زمان الحرب، ومن المعلوم أن ظواهر كهذه لا يمكن القضاء عليها بالوعظ والإرشاد إذا ما أصر أصحابها على التمرد والعصيان، ولذلك أوجبت الشريعة الإسلامية استعمال العنف إزاءهم فمن ساعد العدو بأمواله فقدها، ومن ساعده بذراعيه أعدم، تلك هي الأحكام التي أشرف عليها الأمير عبد القادر، وحرص على تنفيذها شخصيا (شيخي، 2017، ص289) ومن أمثلة ذلك أنه عندما وصل الأمير عبد القادر إلى ناحية نهر "مينة" تناهى إلى مسامعه أن قتالاً نشب بين قبائل البربر فوصل في الوقت المناسب وأصلح بينهم، وعاقب مثيري الفتنة، وعقد صلح بينهم وقعه رؤساؤهم نصه كما يأتي: " قد أبرمنا بحول الله وقوته، الصلح المبرم بين أولاد الأكراد وقبيلة أولاد شريف، وقبائل يسلم وقبائل الشرقية، ومحونا أثر ما كان بينهم من بقايا حميّة الجاهلية، وألزمنا كل فريق منهم بالانضباط وطاعة الأنظمة المرعية في الدولة، وبرفع كل قضاياهم إلى من وّليناه أمرهم، وجعلنا عقوبات شديدة على من يخالف الأنظمة أو ينقض أمر هذه المصالحة أو يتسبب بإفسادها فيكون قد عّرض نفسه لسخط الله وغضبه (ينظر:الصلابي، ص142).

ضرورة تمثل أخلاق القرآن والسنة ومحاربة كل ما ينافيهما: إن الإسلام رسالة الأخلاق والفضائل العليا التي تحقق العدل والحق في علاقة المسلم بنفسه ومجتمعه وربه؛ ولما كانت الأخلاق من ركائز تقدم الأمم ورقي الحضارات حرص الأمير على تثبيت دعائمها بين أبناء دولته وجعلها شعارا لجهاده.

لقد كان الأمير يسهر على مهمة المحافظة على الأخلاق الإسلامية باعتبار أن دولته هي دولة إسلام وتحقيق ذلك عن طريق التوجيه والإرشاد للأفراد، فدولة الإسلام لم تقتصر وظيفتها في الأعمال الدنيوية، بل أيضا على الأعمال الأخروية، وبذلك عمل على تحسين الوضع الديني، والبحث عن القيم الأصيلة ببعث روح جديدة لبناء المجتمع من جديد، وهذا بالضبط ما شرع فيه الأمير باتباع أسلوبين اثنين أسلوب الرغبة والرهبة (حملاوي، 2014-2015، ص142).

فكما دعا إلى أحسن الأخلاق بأرقى العبارات وأحنّها، وتمثلها في نفسه أولا، حارب الرذائل ودمر أوكارها كالشعوذة والدجل والخيانة ومعاقرة الخمور والقمار. وليس يخفى على عاقل ما في هذا التوجه من صون لأمة الشريعة والتمكين لها بأرض العروبة المغتصبة، وكذا حمايتها من الذوبان في مدنية الغرب الزائفة.

ولعل أسمى وأرقى خلق إسلامي دعا إليه الأمير وحققه عمليا في مسيرته النضالية والدعوية خلق العدالة التي أسسها بين رعيته، والتي لا تخضع لسلطة أخرى غير سلطة الله؛ فلم تمثل فئة أو طبقة معينة حتى تتخذها ذريعة للجور لأنها كانت تحت الرقابة الشعبية، وأما الأمير عبد القادر نظ ار لانضباطه وخشوعه فقد ظل يقول: "... لم أكن سوى منفذا لها".. وقد حرص فعلا على انتشارها في كل مكان وعّين لهذا الغرض قضاة متنقلين مع رجال الجيش يجرون القصاص الشرعي ويفكون الخلافات الموجودة بين الناس، وحتى يتسنى له القضاء نهائيا على كل مظاهر الإثم والإجرام فإنه حّمل كل القبائل مسؤولية الجريمة التي ترتكب في منطقتها، وفي حالة العصيان فإن العقاب الشديد يلحق بالقبيلة المذنبة، وقد أصبحت القبائل هي التي تراقب أفرادها حتى لا يرتكبوا إثما (شيخي، 2017، ص290-291).

الترهيب من الركون للعدو الفرنسي أو الذوبان في ثقافته وقيمه وأخلاقه المنافية للشريعة.

إن من أعظم مقاصد نضال الأمير ومشروعه الحضاري بعث وطن عربي مستقل قوامه الشريعة الإسلامية، والعمل على حمايته من العدوى، والمتمثلة في القيم الأوروبية المسيحية؛ وقد مزج هذا المشروع بين القيم الوطنية و الدينية، واعتمد أساسا على الشريعة الإسلامية فباسمها دعا الأمير المسلمين إلى رفض الخضوع لسلطة المسحيين، وعلى ضوئها حذر من تعاطي الخمر والتبغ والميسر والفجور، وذلك يوم قبوله منصب الإمامة انطلاقا من قول الأمير الحاكم نفسه حين قال:" اعلموا أن الغاية الوحيد لقبولي هذا المنصب أن تكونوا آمنين على أنفسكم وأعراضكم وأعمالكم، مطمئنين على بلادكم، متمتعين بوظائفكم الدينية، ولا يمكن أن أبلغ مرادي من ذلك إلا بمساعدتكم مالا ورجالا (حملاوي، 2014-2015، ص124-125).

إن التكوين العالي والمتنوع للأمير عبد القادر، ونظرته الاستشرافية للمستقبل، وإعداده للقوة التي أمرنا بها في كتاب ربنا جل وعلا بجميع معانيها العلمية والعملية، وإيمانه الصلب بدولة الجزائر الحديثة التي تزينها الهوية الدينية، وتطبعها الثقافات والتقاليد المتنوعة، وتحرسها الوحدة الوطنية هي من أهم الأسباب بعد توفيق الله تعالى في قيام الجزائر على سوقها التليد لتحرر الرقاب والأوطان وتحرر الأفكار والأقلام.

5. الخاتمة:

يمكن إجمال أهم نتائج البحث في ما يأتي:

- كفاح الأمير عبد القادر الجزائري ضد قوى الاستدمار مشروع متكامل جمع فيه بين الجهاد الفكري والجهاد بالسيف من أجل بناء دولة حديثة معاصرة.
- مفهوم الدولة الحديثة عند الأمير يبدأ ببناء وحدة الأمة ورأب تصدعات بنيانها الماضي، والسعي لمنع أي ذوبان في حضارة أو ثقافة الآخر.
- بناء الأمة يراه الأمير ببناء آحاد أفرادها وذوبان جميع أطيافها تحت راية واحدة يتزعمها القائد المجاهد عبد القادر الجزائري.
- بناء أفراد الأمة الجزائرية زاوج فيه الامير بين إنتاجه العلمي، ونشاطه الدعوي.
- الإنتاج العلمي والدعوي للأمير كان موجها لبناء آحاد أفراد الأمة ونسج خيوط وحدتها، وكشف المتعاونين مع العدو، والرد عليهم، وكذا الرد على الاتهامات الموجهة للإسلام والمسلمين من قساوسة النصاري وضباطهم.
- الإنتاج العلمي للأمير تراوح بين تأليف الكتب وتحرير الرسائل الموجهة للداخل والخارج.
- أهم الإسهامات العلمية للدفاع عن الإسلام والمسلمين للأمير تمثلت في مصنفه" المقراض الحاد"
- من أهم الإسهامات الدعوية للأمير بناء منظومة جديدة وحديثة تعنى بالعلم وأهله في جميع الأطوار، وبين جميع الفئات، وتولي ذلك عناية خاصة مادية وروحية لبعث روح العزة والمجد لهذه الامة من جديد.
- من أهم الإسهامات الدعوية للأمير بناء الأمة على قواعد القرآن والسنة الأخلاقية، ومحاربة الدخيل من تقاليد العدو وقيمه الاستدمارية.

6. قائمة المراجع:

المؤلفات:

أديب حرب. (1983). التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الأمير عبد القادر الجزائري. (بلا تاريخ). المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام بالباطل والإلحاد.

بسام الرفاعي. (1892). الروض البسام في أشهر البطون القرشية بالشام. الإسكندرية: مطبعة الأهرام.

بوعزيز يحي. (1983). الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. تونس: الدار العربية للكتاب.

حساني مختار. (2009). التراث الجزائري المخطوط في الجزائر وفي الخارج. منشورات دار الحضارة.

شيخي خديجة. (2017). المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر. جامعة الجزائر.

محمد علي الصلابي. (بلا تاريخ). سيرة الأمير عبد القادرالجزائري- قائد رباني ومجاهد إسلامي. بيروت: دار المعرفة.

محمد مراد بركات. (بلا تاريخ). الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي. جامعة عين شمس: دار النشر الإلكتروني.

الأطروحات:

حملاوي سهير.(2015-2014) .الجوانب الاقتصادية والاجتماعية افي دولة الأمير عبد القادر الجزائري .مذكرة ماستر في التاريخ المعاصر .بسكرة ,جامعة محمد خيضر ,الجزائر.

عائشة بن ساعد. (2003-2004). البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري. مذكرة ماجيستير. الجزائر العاصمة، جامعة الجزائر.

حاج بنيرد. (2020). الأمير عبد القادر الجزائري وكتابه المقراض الحاد . مجلة كلية الآداب واللغات، 250-251.

عبد الحميد حاجيات. (1983). الأمير عبد القادر وإنتاجه الأدبي. مجلة التاريخ، 93.

مواقع الانترنيت:

محمد حاج عيسى. (12 رمضان، 1432). رسالة الأمير عبد القادر: حسام الدين لقطع شبه المرتدين. تاريخ الاسترداد 12 10، 2022، من في طريق الإصلاح: https://www.djelfa.info.